التعايش الديني وأسئلة حق المواطنة ودورهما في بناء الهوية الوطنية

أ. عبد الكريم الشرعة*

سلم البحث في ١٤٤٢/٢/٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٢/٣/٥هـ

ملخص البحث:

نهدفُ في مقاربتنا هذه إلى تسليط الضوء على إحدى أهم المواضيع التي باتت تشغل الرأي العام العربي والعالمي وهو موضوع خطاب التعايش الديني بين المجتمعات المختلفة، حيث سنعمل على تبيان قيم المواطنة والتعددية الثّقافية ودورها في بناء الهوية الوطنية التي باتت هاجس المجتمعات العربية والغربية على حد السواء، كل هذا سنسعى إلى دراسته من خلال إشراقات نبوية نفسية جسدها نبينا محمد عليه وعلى أله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم بشكل واضح في المدينة المنورة من خلال تعريف المسلمين بالقيم الإسلامية التي جاءت لكافة البشر رحمة للعالمين على اختلاف ثقافاتهم وأديانهم. فأمام أهمية هذا الموضوع وتزايد العبث الذي بات العالم يتخبط فيه اليوم نتيجة للعولمة التي أدخلت العالم في دوامة من الصراعات الدينية أصبحنا في حاجة ماسة إلى ذلك القبس النوراني الذي يرشدنا لفهم السبل الحقيقية لكيفية بعث قيم التعايش بين مختلف الأديان والثقافات داخل الوطن الواحد مهما وصل حد الاختلاف بيننا سواء على المستوى المحلي أو العالمي، خاصّة وأن الإشكاليات التي بات يطرحها الموضوع تتفاقم حدتها يومًا بعد يوم لاسيما ما تعلق منها بظاهرة الخطاب التكفيري في أوساط الشباب وتزايد فكرة الطائفية التي انتشرت كالنار في الهشيم نتيجة عوامل عديدة منها الغزو الثقافي للهوية الإسلامية، وهو ما يطرح العديد من الأسئلة منها ما الأسباب التي أدت إلى تراجع خطاب التعايش الديني وبروز خطاب الطائفية والعدائية تجاه الإسلام من طرف الغرب؟ ٢٠٠١؟ وما الذي جعل انتشار نظرية صراع الحضارات التي جاء بها هنغتون خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر تنتشر بهذا الشكل الرهيب؟ وما البدائل التي يحملها خطاب التجديد الديني الإسلامي في بعث سبل التصدي لخطاب الطائفية؟. وكيف السبيل لإيجاد الحلول المناسبة لحفظ الهوية الوطنية والدينية وتفعيل قيم المواطنة لدى شبابنا في ظل العولمة الفكرية؟

هذه النقاط وأخرى سنسعى لسبر أغوارها في نوع من المقاربات الحفرية متبعين آليتي التفكيك والتحليل لأسباب وداعي زعزعة الهوية الدينية والوطنية لدى شبابنا لنبعث من جديد خطاب التعايش الديني وسبل حفظ الهوية الدينية والوطنية في

* باحث أكاديمي. بجامعة آل البيت، بالمملكة الأردنية الهاشمية.

نفوس شبابنا وفق الرؤية الإسلامية الصحيحة بعيدا عن أي خطاب ديني متعصب.

الكلمات المفتاحية: الهوية الوطنية، الخطاب الديني، قيم المواطنة، التعايش الديني، الخطاب التكفيري.

Abstract:

`In this approach, we aim to highlight one of the most important topics that have become a concern for Arab and international public opinion, which is the subject of the discourse of religious coexistence between different societies, where we will work to demonstrate the values of citizenship and multiculturalism and its role in building the national identity, which has become a concern of Arab and Western societies alike, all of this we will seek to study through the psychological prophetic savoic savoys embodied by our Prophet Muhammad on him and his companions the best prayer and the recognition in Medina by clearly defining Muslims with Islamic values. That came to all human beings a mercy for the worlds of all cultures and religions.

In the face of the importance of this subject and the increasing absurdity that the world is now mired in as a result of globalization, which has plunged the world into a spiral of religious conflicts, we are in dire need of that Norrani dome, which guides us to understand the real ways of how to resurrect the values of coexistence between different religions and cultures within the same nation, no matter how much difference sits between us, both at the local and global level, especially as the problems posed by the subject are exacerbated by the day, especially those related to the phenomenon of takfirist discourse among young people and the growing The idea of sectarianism, which spread like wildfire as a result of many factors, including the cultural invasion of the Islamic identity, which raises many questions, including what led to the decline of the discourse of religious coexistence and the emergence of sectarianism and hostility towards Islam by the West? ٢٠٠١؟ And what made the spread of The Clash of Civilizations theory that Huntington came up with, especially after ٩/١١, so terrible? What alternatives does the Discourse of Islamic Religious Renewal carry in resurrecting ways to counter sectarianism? How can we find appropriate solutions to preserve national and religious identity and activate the values of citizenship among our young people in the light of intellectual globalization?

These and other points will seek to explore their depths in some kind of fossil approaches, following the mechanisms of dismantling and analysis for reasons of the need to undermine the religious and national identity of our young people to rekindle the discourse of religious coexistence and ways of preserving the religious and national identity of our young people in accordance with the correct Islamic vision, away from any fanatical religious discourse.

Keywords: National identity, religious discourse, values of citizenship, religious coexistence, takfiri speech.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد بن عبد الله، عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أفضل الصلاة وأتم التسليم. وبعد: فيعج عصرنا اليوم بالعديد من المواضيع التي تشغل بال الرأي العام العالمي عامة والعربي الإسلامي خاصّة، لعل أبرز هذه الإشكاليات التي باتت تفرض نفسها وبقوة في القرن الواحد والعشرين نجد موضوع حقوق الإنسان الذي أصبح هاجس القوى العالمية، ولعل ذلك راجع للعبث الذي أصبح يميز الإنسان في عصرنا الحالي نتيجة فقدان البوصلة الربانية الموجهة للإنسان، خاصّة في ما تعلق بمثل هذه الأمور التي تحتاج وجدا التوجيه الإلهي البعيد عن فلسفة الإنسان التي تبقى دوما ناقصة متذبذبة ليس لها وجهة محددة تتميز بالتغير المستمر نتيجة عدم قدرتها على التكيف مع متغيرات العصر والتنوع الطائفي والثقافي والديني الذي يزداد بالعالم يوما بعد يوم، ولعل هذا ما أدى إلى تفشي ظاهرة العنف والإرهاب التي تغلغلت في النسيج الاجتماعي للوطن العربي ولعل "داعش" أكبر نموذج جسد ذلك وبشكل كبير نتيجة تلك السياسات الغربية التي تنتهجها في علاقتها مع الدول الإسلامية وبالتّالي كانت داعش ردة فعل طبيعية على تلك السياسات.

من خلال ما ذكرناه آنفا نحاول في هذه الورقة البحثية إماطة اللثام عن تلك الإشراقات النبوية، المتعلقة بحقوق الإنسان في علاقتها بالتعددية الثّقافية والدينية، وغيرها من الإشكاليات المندرجة ضمن مواضيع المواطنة من أجل نشر قيم التعايش، في نوع من المقاربات النفسية الجدلية بين الرؤية الغربية ونظرة الهدي النبوي الرباني في محاولة منا لمخاتلة تلك الأبعاد الاستعمارية التسلطية التي تمارسها قوى غربية عالمية تروج لفلسفة حقوق الإنسان لكن وفق رؤية امبريالية تسعى للسيطرة على الشعوب بغلاف مقنع تحريكًا للأقليات الدينية بتلك البلدان المستضعفة بداعي حفظ حقوقهم من بطش الأغلبية الدينية، هذا كله سنعمل على سبر أغواره من خلال تفكيكه انطولوجيا، في إطار جدلية لطالما شغلت العديد من المفكرين وهي: جدلية الشّرق والغرب.

أسئلة المواطنة بين حق التّعدد الثّقافي والتّعدد الديني -الواقع والمأمول-

يعتبر مصطلح المواطنة أحد أبرز المصطلحات الرائجة في عصرنا والتي انشغلت بها العلوم المختلفة، سياسية واجتماعية، لما لهذا المصطلح من إشكاليات

عديدة، خاصة في دوره في حفظ هوية الوطن، كإشكاليات المواطنة في علاقتها مع الدولة، وانتشار قيم اللبرالية التي تسعى لتشكيل هوية الوطن العربي والإسلامي، وغيرها من القيم التي تعكس توجهات أصحابها، فكل يسعى لإثبات هويته، ناهيك عن أسئلة حق الأقليات في التّعددية الدينية والثّقافية، ومدى قدرة الدول على حماية حقوقهم، لكن السؤال الذي يطرح في هذا الصدد وفي ظّل التحولات العالمية التي يشهدها العالم وتفشي المركزيات بالعالم فأي قيم للمواطنة تلك التي تحاول القوى العالمية الترويج لها؟، وأي تعددية ثقافية وأخرى دينية تحاول تجسيدها على أرض الواقع بشتى الوسائل المشروعة منها وغير المشروعة؟، وهو ما أنتج أزمة قيم بالعالم الذي نعيش فيه من تفشي للصراعات الطائفية وانتشار نوازع العنصرية تجاه العديد من الهويات خاصّة الهوية الإسلامية التي باتت هاجس العالم الغربي الذي يقض مضجعه ليل نهار، ناهيك عن فقدان العالم لفكرة قبول الآخر والتعايش عكس مثلا العهد الأندلسي الذي شكل مرحلة ذهبية في تاريخ الحضارة الإسلامية والإنسانية عامة، فظهرت نماذج ربانية جسدت وبصدق قيم التعايش وفق هدي نبوي وهو ما سنكشف عن ملابساته في باقي عناصر المداخلة.

قضايا التعددية الثقافية بين العصر الأندلسي النموذج النبوي وعصرنا:

تعتبر قضية التعددية الثّقافية من القضايا التي باتت تفرض نفسها وبشدة في العالم الإسلامية خاصّة في عصرنا اليوم الذي تحول إلى قرية كونية صغيرة تعج بمختلف الثّقافات والأديان وهو ما يجعلها محملة بشحنات ثقافية عديدة منها الإيجابية ومنها السلبية ففي مداخلتنا هذه سنحاول مخاتلة أسباب الانتقال من التّعايش إلى الصراع وبروز نوازع سلب حق الإنسان في اختيار الهوية الثّقافية والدينية التي تناسبه.

إن الطرح الذي أود طرحه من خلال هذا المفهوم قد يبدوا جمعًا للتناقضات نعم إنه توليفة لنوع جديد من التّمازج الثّقافي والديني العالمي، يجمع بين الاختلاف والهوية، بين الدين والإلحاد، بين الفكر والفكر المضاد له، ينفي الهوية ويثبتها في الآن ذاته، إنه أندلسًا جديدة عندما تصافح ابن عربي مع ليسينغ اليهودي، عندما تعانق ابن ميمون مع ابن رشد، وغيرهم من الأقطاب التنويرية آنذاك هذا الأخير –ابن رشد– الذي قال فيه محمد عمارة "إن ابن رشد الذي كانت حياته الفكرية تجسيدا للصراع الفكري بين تيارات الفلاسفة وفرق المتكلمين، هو الذي يضع ضوابط العدالة لهذا الصراع"[1]. ولعل التفاعل والتمازج الحضاري هو الذي جعلهم يشكلوا على

اختلاف مللهم ونحلهم ذلك الزخم الحضاري العميق التمازج.

ليمتد فيما بعد ذلك التأثير التفاعلي لمختلف الثّقافات مُشكلاً الحضارة الإسلامية وفق هدي نبوي مرسيا لمعالم التعددية الثّقافية المعتدلة ما جعلها تمتد على مدى ما يقارب ثمانية قرون من الزمن حتى قيل عنها بأنها الجنة الساقطة من السماء على الأرض، لتطفوا إلى سطح معالم تلك الحضارة الإسلامية العالمية النبوية العديد من المدارس الفكرية التي تبرز فلسفة التعدد الفكري والثّقافي والدّيني لعل أبرزها: المدرسة الرشدية وغيرها من المدارس التي كانت ولازالت منارات علمية وصروحا حضارية تجمع كافة الثّقافات على اختلافها وتنوعها لتشع بنورها العلمي على الحضارة الغربية لحد الآن، رغم اكتساح مظاهر العولمة بمختلف أبعادها آنذاك، فلماذا يا ترى في ذاك العصر ظهر نموذج ابن رشد الرجل الموسوعي الذي مثل الإسلام بفلسفته الداعية للتعددية الثّقافية أما اليوم تطل علينا نماذج بين الحين والآخر تكفر هذا وتسفه هذا وتبيح سفك دم هذا لأسباب واهية لا علاقة لها بالدين الإسلامي وهو ما يطرح تساؤلات عديدة عن مستوى الانحدار الحضاري الذي وصلنا له وهو ما علق عليه محمد عمارة بقوله: "فبالنسبة لتدني المستوي الحضاري للأمة الإسلامية اليوم عن نظيره في عصر ازدهارها الحضاري وهو أمر غير منكور فإنه تدني قد نبع وارتبط بتخلف شروط النهضة والازدهار الحضاري أي أنه عارض يزول بزوال أسباب التخلف وليس" قدرا تاريخيا" ولا "حتمية" من حتميات توالي القرون"[٢]. ويُتبع محمد عمارة كلامه ملقيا اللّوم على ما وصلنا إليه من تدني حضاري وتفسخ هويتنا الوطنية انتقل بنا من تلك الفترة التي عهدناها في الفترة الأندلسية إلى مرحلة أخرى أو بالأحرى نفق حضاري عنوانه نسف قيم التعايش وحقوق الإنسان ليقول: "فالأمة التي لا تثق بقدراتها، ولا تقدر إمكاناتها الذاتية حق قدرها؛ لا يمكن إلا أن تكون على الدوام ظلاً للآخرين، تابعة لهم، لا تعتمد إلا ما يقولون، ولا تنفذ إلا ما يقررون، وهذا هو التسول الحضاري بعينه، الذي يُمثّل قمة العجز والفشل والاستسلام أمام التحديات التي تواجهها"[٣].

المدرسة الرشدية والإشراقات النبوية في فلسفة التعددية الثقافية:

فذاك كان واقع الحضارة الأندلسية العريقة بجميع فلاسفتها وشراحها وكتابها وعلمائها بفقهائها وقضاتها، كما أن الدور الكبير الذي لعبه ابن رشد لا يستهان به في تجسيد فلسفة التّعددية الثّقافية ففي "نهاية القرن السادس عشر لم تعد الرشدية تمثل مذهبا فحسب، بل أصبحت تمثل الثقة الممنوحة للشرح الكبير الذي كان ابن رشد أول

من ابتكره لتأويل أرسطو، وحدث فى هذا القرن تحول عظيم لصالح ابن رشد، إذ أصبح لقب رشدي يطلق على أكثر الناس تمسكا بالدين، وأصبحت الكنيسة تؤيد وبقوة دراسة أرسطو وتعترف بأن ابن رشد هو شارحه الأعظم، وأصبح الرشدي هو من انكب على دراسة الشرح الكبير أي أن كلمة أصبحت مرادفة لكلمة فلسفة عموماً، وكأن الرشدية والفلسفة شيء واحد"(٤).

وهو ما يجعلنا نتساءل أمام عظمة هذا العالم الفذ أو الفلتة التاريخية إن جاز التعبير كيف استطاع مع هؤلاء على اختلاف هوياتهم وثقافاتهم وأديانهم إتقان فن التعايش؟. وكيف أرسوا تلك الدعائم التي تأصل لهدي الفكر النبوي وسط جو يبدوا متناقضًا، والذي يبدوا للناظر من بعيد استحالة سنوح معالم التّعايش الحضاري فيها؟. ما الأدوات الحضارية التي كانت بأيديهم حتى استطاعوا بها ضبط أسس توازن التعددية الثقافية والدينية وق المواطنة في بناء تلك الحضارة التي جعلت الفيلسوفة الألمانية زغريد هونكه تؤلف كتابًا لتطلق عليه عنوان "شمس العرب تسطع على الغرب"؟. كيف وجد اليهودي مع الإسلامي، المسيحي الأرثوذكسي مع البروتستانتي، الملحد مع المؤمن؟. هذا النموذج الإنساني الراقي شكّل وبصدق صورة فسيفسائية لقيم حق التعدد الثقافي الذي مثلته هذه الحضارة كحاضنة لجميع الثقافات والملل المتنوعة والمختلفة، لتقوض بذلك الأبعاد السلبية لخطاب العولمة محولة إياها أداة لها لا عليها، لينشأ ذلك التنوع الثقافي في رحاب الحضارة الإسلامية العالمية، وهو ما أشار إليه المفكر الجزائري العالمي مالك بن نبي في معرض حديثه عن التّعددية الثّقافية باعتباره إياها "بيئة مكونة من الألوان والأصوات، والأشكال والحركات والأشياء المأنوسة، والمناظر والصور، والأفكار المتفشية، في كل اتجاه... صورة خيالية... تمارس مفعولها على الراعي وعلى العالم بالسواء، وهي الوسط الذي يتشكل داخله الكيان النفسي للفرد، بالصورة نفسها التي يقيم بها تشكل كيانه العضوي داخل المجال الحيوي الذي ينتظمه"(٥).

والسؤال الأهم الذي يُطرح في قرننَا هذا هل يمكن إيجاد هذا النموذج في عصرنا هذا عصر العولمة ومركزية الحضارة الغّربية لنحافظ به على هوية أوطاننا، نعم يمكن أن يوجد هذا النموذج بعيدًا عن ترسبات تلك الرؤى المرتبطة بنظرة العالم للغرب رغم صحة تلك النظرة في أحايين كثيرة، هذا النموذج الذي نراهُ اليوم في لقاء أنتني فلو بعمرو شريف، وتفاعل ادغار موران مع طارق رمضان...وغيرهم من الأقطاب العالمية، فهذا الأخير نرى تأثيراته الممتدة للتأثيرات الرشدية في الحضارة الغربية،

ولكن النسخة هذه المرة في القرن الواحد والعشرين، فها هو طارق رمضان يصُول ويجُولُ أرجاء الأمصار الأوروبية مجسدًا بذلك الفكر التّعايشي العالمي، ليكون له الأثر العميق في عز قلب الحضارة الغربية.

جميع هذه النماذج النيرة التي عرضناها إلا أنه بتحول العالم إلى ما بعد الحداثة ودخول العالم لمرحلة جديدة إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ هذا الحدث الذي قلب موازينًا كثيرة بالعالم، فإنه رغم التعدد الثقافي إلا أن المفهوم الجديد للتعددية الثقافية وحقوق الإنسان دخلت الإنسانية نفق تاريخي مظلم جعلت من هذا التنوع نوعًا من الصراع الذي تحكمه إيديولوجيات تحاول كل واحدة منها نشر ايديولوجيتها بشتى الوسائل خاصّة في ظل الصراع القائم بين الشرق والغرب أو بالأحرى بين الإسلام والغرب ما جعل القوى العالمية توجه عداءها نحو الهوية الإسلامية متخذة من فزاعة الحق في حقوق الإنسان أداة لذلك وهو ما أكده محمد عمارة بقوله: "فهذه النزعة المركزية الاستئصالية، هي التي جعلت مفهوم الإنسان –في الحضارة الغربية– هو الإنسان الغربي وحده !..ثم جعلت هذا الإنسان الغربي –في عصر الاستعمار– الحضاري والثقافي براحة ضمير عجيبة هي أشبه بما تكون بموت الضمير !: لأنه يمارس ذلك الاستئصال كرسالة"(٦). وهو ما زاد من حركة الفوبيا من الإسلام في الدول الغربية وهو ما سنقف عليه بالتحليل من خلال دراستنا للمركزية الغربية ودورها في الفتك بالهوية الإسلامية.

اشراقات نبوية حول قيم التعايش الديني والثقافي:

إن المأمول من فكرة التّعايش واحقاق حق المواطنة منهج مقدس وطريق مستقيم في السنة النبوية المطهرة من دعوة لتقوية أواصر الروابط الاجتماعية وزرع بذور المودة والمحبة والتراحم بين الأجناس البشرية على اختلاف مللها وتنوع نحلها وحفظا لهوية الأوطان، كل ذلك في ظلّ وكنف الطاعة الربانية والقبس المنير الذي تم الفصل فيه في سنة النبي الأعظم محمد ابن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، فالمفهوم النبوي الإسلامي يستند لأسس شرعية ربانية تقر بضرورة الاختلاف وضرورة التجانس والتكامل بين مختلف الجماعات وهو ما يعلي من شأن تلك القيم المقدسة، لتصل تلك الهويات المتجانسة على اخلافها إلى بر الأمان وشاطئ الإسلام الطريق السليم والحصن الحصين لكل من تاهت بوصلته الربانية.

يعرف سفن م. سبينجيمان التّعايش بأنه يمثلُ " نموذجا لاستئناف حياة منتجة آمنة، ونظاما اجتماعيا يمكن للأفراد الذين انخرطوا في أعمال عدائية سابقة ضد

بعضهم البعض أن يعيشوا ويعملوا معا دون أن يدمر أحدهم الآخر. فالتعايش إذن هو الطريقة التي يجب أن تدار بشكل حذر من أجل تجنب تجدد العداءات وفي بعض الأحوال قد يصبح التعايش شكلا لدولة مستقرة نسبيا، ولكنها غير مندمجة. أو في حالات أخرى، قد يحمل معه احتمالات تحقيق اندماج اجتماعي واقتصادي أكثر عمقا"[٧]. ولعل هذا العمق نلمسُه في مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام حينما أقام دولة الإسلام فكانت قيم المواطنة مجسدة وفق شريعة ربانية ونورانية نبوية وهو ما يدل على المستوى المتطور الذي وصل له النبي صلى الله عليه وسلم من حنكة سياسية وسن إدارة لدولته، فقد كانت وثيقة المدينة نظاما داخليا تطميني للأقليات بحفظ حقوقهم الدّينية والثّقافية من أعراف وعادات وتقاليد يحفظها لهم الإسلام دون افراط أو تفريط مخل.

ونعطي أبرز مثال على ذلك بالعنصر اليهودي كأقلية اجتماعية لها حقوق وعليها واجبات حيث كانت أعدادهم وقت توقيع الوثيقة حوالي ٤٠٠٠ نسمة[٨]. فقد مثل اليهود آنذاك الفئة العقائدية والدّينية المختلفة التي حفظ لهم الدين الإسلام حق أداء شعائرهم، وقد نصت الفقرة التاسع عشر على ذلك حيث جاء فيها قوله صلى الله عليه وسلم: "...وإنّه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم"[٩]. فمفهوم الأُمة في سياقها الإسلامي مفهوم واسع يظم العديد من الثّقافات والأديان والإسلام يحفظ لهم كامل حقوقهم، ونعود في هذا السياق مرة أخرى للحديث عن اليهود كعنصر مشكل للأمة حيث جاء في الفقرة الخامس والعشرين من الوثيقة قوله صلة الله عليه وسلم "وإن يهود بني عوف أمة من المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم..."[١٠]

كما جسد النبي صلى الله عليه وسلم قيم الخلافة في الأرض بالعمل الصالح الذي أحد أبرز مظاهره احقاق حقوق الإنسان بتحقيق العدل والمساواة لتحقيق الرفاهية المطلوبة له كإنسان وقد جاء الإسلام ليؤكد على ذلك ويهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان وذلك بتنظيم علاقاته مع خالقه تبارك وتعالى، وبالكون الذي يعيش فيه، وبأخيه الإنسان، تحقيقا لإرادة الخالق عز وجل بأن يكون الإنسان خليفة الله في الأرض، فتتحقق له السعادة في الدارين معا الدنيا والآخرة، وقد برز ذلك في قوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[١١].

وهذا ما يجسد قيم المواطنة بكامل حذافيرها ويعلي من شأن قيم التعايش المشترك

وقيم المواطنة القائمة على مبدأ العمل الصالح بناءً للدولة والأُمة كافةً وبالتّالي تذوب الصراعات التي تتخبط فيها الإنسانية اليوم نتيجة فقداننا تلك التعاملات النبوية الربانية الهادية للسبيل القوم المبين لحقوق الإنسان نتيجة عمليات الإغراق القصرية التي تمارسها القوى الغربية على الدول المستضعفة بالعالم، حيث تضع معايير معينة لمبادئ حقوق الإنسان وفق خارطة استراتيجية تطبخ هناك مسبقا بالبيت الأبين وغيرها من مراكز القرار العالمية ضربا للقيم الإنسانية وإعلاء للمركزية الغربية وثقافة أفضلية الرجل الأبيض على باقي الشعوب، وهو ما سنكتشفه في الدور الكبير الذي تمارسه الخطابات الإعلامية للترويج لتلك الأفكار المسمومة الساعية لهدم قيم وحدة كيان الأمة والعمل على زعزعة هويتها الإسلامية.

الخطاب الإعلامي ودور الغرس الثقافي في كسر ثقافة الأمة:

إن الغرس الثقافي الممارس بالإعلام أدى إلى غياب مفهوم التعايش بين التيارات السياسية، وقد ظهر ذلك بشكل كبير في الثّورة المصرية وهو ما أدى إلى الخروج عن مسار الإنسانية لتدخل تلك الثورة في متاهات سفك الدماء، لتفقد كل مقومات النهوض بالبلاد كل هذا قام بتغذيته الإعلام الذي تتحكم فيه أياد خفية لا تود الخير للأمة والمواطن العربي، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على فقدان ثقافة المواطنة والأمة بمجتمعاتنا العربية، فالأُمة كما يراها المؤرخ والفيلسوف الفرنسي ارنست رينان Renan Ernest (١٨٢٣-١٨٩٢) في محاضرته التي ألقاها سنة ١٨٨٢ تحت عنوان "ما هي الأمة ؟" قائلا بأن الأمة هي: "تضامن قوي يكمن محتواه في الإحساس بالتضحيات التي حققناها أو في تلك التي نحن على استعداد لتحقيقها. فهي تفترض وجود ماض وتختزل في الحاضر من خلال واقع ملموس يتمثل في الاتفاق، والرغبة الواضحة في التعبير عن حياة مشتركة دائمة"[١٢]. وهو ما يُبين لنا مدى العجز الكبير على امتلاك ثقافة قبول الآخر والعيش المشترك رغم الاختلاف الديني والثّقافي، فانتشرت نزعة الغلو والتكفير لمن يخالفنا الرأي نتيجة فقدان تلك المعالم النفسية المرشدة لنا في النظرة الصحيحة لحقوق الإنسان وبالتّالي انتشار ما هو ظاهر للعيان أمر طبيعي وجدًا.

إن "البحث عن أصل واحد وجوهر واحد يؤدي ليس فقط إلى تخريب الثقافة، بل إلى أخطر الأصوليات"[١٣]. وهو ما أدى إلى العبث بمقومات الثّقافة العربية وتلك العادات التي كانت تحفظ التنوع الطائفي والتماسك الاجتماعي لمجتمعاتنا العربية خاصّة في العراق التي كانت فسيفساء جميلة من الطوائف المتجانسة فكريًا وعقديًا

متعايشة مع بعضها البعض دون تكفير أو حقد، كل ذلك ذهب هباءً منثورًا لتبرز أصوليات شديدة الخطورة ممثلة في ما يسمى "بداعش" وغيرها من التنظيمات الإرهابية الشديدة التطرف التي فتكت بهوية أوطاننا، وهنا نبقي السؤال مفتوحًا عن كيفية وأسباب ودواعي دخول هذا التنظيم الإرهابي إلى العراق الحبيب...؟، ولم كل هذا الحشد الإعلامي الرهيب لإذكاء نار الفتن الإيديولوجية نشرًا للطائفية وتظليلاً للحقيقة وتشويها للهوية...؟.

إذن هي اشكاليات كثيرة تطرحها الملابسات الخفية التي تكتنف هذه الشيفرة المتغلغلة في نسيج بنية الخطابات الإعلامية، فميكانيزمات تشكلها وزرعها ماثلة أمامنا والجو النفسي والاجتماعي مهيأ وبشكل كبير لظهور ونمو هذه النزعات المتطرفة، عملاً على التخريب الاستراتيجي لقيم حقوق الإنسان، فرسوم الكرتون كالسوبرمان الذي يهيم فيه أطفالنا حبا والفتاة باربي وكل ما يمت بصلة للديجتال تعج بإيحاءات جنسية تغرس في أذهان أطفالنا، بل وصل الأمر إلى حد التشكيك في كثير من المعتقدات الدينية الأساسية يتلقاها يوميًا أطفالنا، فيتم العصف بهوية الأمة داخل بيوتنا من خلال تلك الصور الذهنية التي يتلقاها أطفالنا يوميًا لتعشش بأذهانهم وتنمو مشكلة ثقافة ذاك الطفل فيصير شابًا فرجلاً فكهلا وهو على تلك الصور والإيحاءات التي غرست فيه منذ الصغر لتُكون نموذجه الفكري الذي يقرر خياراته المصيرية ونظرته للحياة عامة، وهو ما يشكل نفسيا ذاك الطفل على وجود ثقافة واحدة هي تلك المبثوثة في شاشات التلفاز وبالتّالي يتم سلبه من حق الاختيار الثّقافي والدّيني وهو ما سنكشف عنه أكثر في تفكيكنا لأطروحة تسطيح الثّقافات التي تعملُ على إقصاء وسلب الإنسان في الاختيار الثقافي الحر وهو ما يجعله في موضع اللا منتمي المنتهك الهوية المسلوب الحقوق والإرادة دون أدنى شعور منه.

هكذا نكون قد وقفنا تحليلاً وتفكيكًا لمعالم ميكانزمات تشكل ثقافة رفض الآخر في العقل الغربي، لنتساءل معا عن الإشكاليات والملابسات التي تطرحها هذه الخطابات بمختلف تداعياتها وحيثياتها وكيف كان لها الدور البارز في نشر الفوبيا من النموذج التعددي الثقافي الإسلامي ذاك التعدد الثقافي الذي أشار له محمد عمارة في السنة النبوية التي اعتبرها "الإعلان الإسلامي عن شرعية ومشروعية التعددية الإسلامية في هذه المساحات من الفكر وتطبيقاته وفي الأدوات اللازمة لذلك ومنها التنظيمات. تلك هي سنة الإسلام التي شرعت وقننت لمبدأ التعددية في الفكر الإسلامي وفي الممارسات الإسلامية منذ صدر الإسلام والتي بناء عليها وتطبيقا

لمنهجها كانت تيارات الاجتهادات الإسلامي مصدرا لثراء الفكر الإسلامي على عهد الازدهار الحضاري الذي سبق عصر التراجع والجمود"[١٤]. ولعل هذا يحيلنا إلى تساؤل آخر أكثر عمق هو كيف لنا أن نخرج من شرنقة ذلك الجمود والانسداد التاريخي الذي جثم على صدر الأمة لمدة طويلة جدا خاصة في ظل التخبط الكبير الذي يعاني منه سواء العالم الإسلامي أو العالم أجمع لعل ذلك الترياق نجده في الهدية النبوي في سنة التخلية قبل التحلية، ففي الهدي النبوي يوجد ما يسمى بالتخلية قبل التحلية ومن ثم يتحتم علينا تنقية الجو الاجتماعي العربي والإسلامي من الشوائب التي تشوبه وتعكر صفو عالمية رسالتنا القائمة على التعددية الثقافية والإنسانية كحق إنساني مشروع ومن ثم يأتي دور التحلية فيتم التركيز على بعض الأمور المهمة التي تستلزم منا زرع قيم حقوق الإنسان من تعددية ثقافية ودينية في إطار الأمة الواحدة، علما أننا نملك كل المقومات والأسس لذلك انطلاقا من البوصلة الربانية المنطلقة في هذا الباب من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١٥] هذه الآية الكريمة التي تختصر الطريق وتعيد تشكل معالم الطريق من جديد عن طريق تنمية روح التعايش في الأجيال القادمة تحت شعار الآية وهذه التنمية تكون بـ"إحياء حركة تجديد الدين بالمفهوم السلفي الواضح؛ لنعود إلى منابع الإسلام الصافية متمثلة في "منهاج النبوة" بعيداً عن مخلفات القرون، والدعوة إلى حتمية الحل الإسلامي لمعضلات واقعنا الأليم، وتحرير الهوية المسلمة من كل مظاهر الخور والتبعية والتقليد، والقضاء على العقبات التي تحول دون تطبيق الإسلام كمنهج شامل للحياة، والتصدي لمحاولات تذويب الهوية الإسلامية، وقطع صلة الأمة بدينها"[١٦]. لكن السؤال الأهم في ظل ما نسعى لاستعادته على مستوى حضارتنا الإسلامية كيف يمكننا مواجهة النظريات والأفكار العالمية المروج لها عملا على ابراز ثقافة واحدة هي ثقافة المركز الممثل في الحضارة الغربية ؟.

نظرية تسطيح الثقافات وإقصاء حق المواطن في الاختيار الثقافي والديني:

تعتبر أطروحة تسطيح الثقافات أو العالم مسطح The World Is Flat أحد أهم السرديات الكبرى التي باتت تحكم الذهنيات الغربية في علاقتها بفكرة التعددية الدينية والثّقافية خاصة منذ سقوط جدار برلين، وهي الفكرة التي صاغها وشرحها بدقة كبيرة المفكر اليهودي توماس فريدمان Thomas L. Friedman في كتابه العالم مسطح حيث حلل وبين بطريقة دقيقة لأوضاع الثقافات والديانات المختلفة بالعالم

انطلاقا من ملاحظاته التي رآها خلال رحلاته، هذه الملاحظات التي تكشف عن مدى عمق الطرح الذي أصل له فريدمان ليكشف للعالم أن العالم مسطحا ثقافيا ودينيا وأن القوى الكبرى تسعى لذلك حثيثة بمختلف الوسائل المشروعة منها وغير المشروعة.

وقد وضع توماس فريدمان عشرة عوامل ساهمت في بلورة فلسفة تسطيح العالم "أولها هدم جدار برلين يوم ١٩٨٩/١١/٩، وثانيها عندما أتيحت الإنترنت وأنظمة البريد والتصفح عبر الشبكة العنكبوتية يوم ١٩٩٥/٨/٩، وثالثها تطبيق برامج تدفق العمل التي تحول الأعمال والتطبيقات المختلفة إلى أنظمة حاسوبية وشبكية أيضا. الرابع كان تطوير أدوات البحث والتحرير والتعاون والمحادثة والنشر عبر الشبكة، من خلال المواقع العملاقة والصغيرة للبحث والإعلان والنشر والتسويق والمعرفة. أما الخامس فتبادل المعرفة والبرامج مجانا أو بأسعار رمزية، وهي الظاهرة التي يمكن تسميتها "المصادر المفتوحة" التي توفر المعلومات والموسوعات والبرامج والخدمات. والسادس هو تلزيم الأعمال إلى الخارج الذي يتيح تنظيم الأعمال والعقود والخدمات من خلال الشبكة، أما السابع فهو نقل الأعمال من بلد إلى آخر بسهولة وبخاصة مع دخول الصين إلى السوق العالمي وانضمامها إلى منظمة التجارة العالمية. الثامن هو سلاسل التوريد، والتاسع هو إتاحة الخدمات (مثل الصيانة) من مصادرها في أي وقت وفي أي مكان. أما العاشر والأخير فجلب المعلومات عبر مواقع ومحركات البحث مثل غوغل، وياهو، وإم إس إن، وإمكانية الاتصال والعمل بين الأجهزة نفسها "الذكاء الصناعي"(١٧).

إذن هي عوامل شتى أدت إلى الجعل من العالم قرية كونية صغيره ومحاولات تهميش العديد من الثّقافات والأديان والجعل من الثّقافات المختلفة داخل بوتقة ثقافة واحدة إلغاء لهوية الشعوب، لعل على رأس هذه الأسباب الانتشار الشّديد لوسائل التواصل المعرفية التي أنتجتها حركة وصيرورة الإنترنت بالعالم، لتؤسس لفكرة إيديولوجية العولمة ساعية إلى الجعل من العالم ذو ثقافة واحدة من خلال إلغاء الحدود الزمكانية التي تمارس من خلال الشركات المتعددة الجنسيات التي تخترق العالم على جميع المستويات، ساعية لإحكام سيطرتها الاقتصادية والثّقافية على العالم خاصّة منها تلك التي تعاني عدم فاعليتها الحضارية، فهذه الشركات رغم الإيجابيات التي حققتها إلا أنها تعد بمثابة الإخطبوط الذي ينفث سمومه على الدول المستضعفة، وينشر شباكه حول العالم تأكيدًا لهيمنة النموذج الحضاري والثقافي للولايات المتحدة

الأمريكية على العالم، نشرًا لثقافة أطعمة المكدونالد في مختلف دول العالم، وثقافة موسيقا الروك الصاخبة التي تعكس مكبوتات ثقافة إنسان ما بعد الحداثة بكل إشكالياتها الروحية والثقافية والحضارية، وثقافة الإباحية والمثلية الجنسية تحت دواع مزيفة ضاربة بعرض الحائط ضرورة احترام الخصوصية الثّقافية للشعوب والحضارات منعا لظهور النموذج الرباني للنبي عليه الصلاة والسلام حول تنظيم فكرة التعددية الدينية والثقافية مشكلة أمة واحدة هي الأمة الإسلامية على اختلاف وتنوع الملل والنحل بها ليبرز ذلك المواطن العالمي المتحرر من قيود العبث والتشتت الذي صار الميزة الأساسية للإنسان اليوم في ظل الانتشار الرهيب لقيم العولمة التي تضرب بأطنابها في أعماق النفس البشرية.

وتعد قضية جدار برلين إحدى أهم القضايا الكبرى التي غيرت مجرى تاريخ العالم وبروز معالم تسطيح العالم حيث قال في ذلك: " لم يساعد سقوط جدار برلين فقط في تسطيح بدائل رأسمالية السوق الحرة ويطلق الطاقات الهائلة المكبوتة لمئات الملايين من الأشخاص في أماكن مثل، الهند، البرازيل والصين والإمبراطورية السوفييتية السابقة .بل سمح لنا أيضا بالتفكير بشأن العالم بشكل مختلف، برؤيته أكثر ككل متصل .لم يكن جدار برلين يسد طريقنا فقط، بل يحجب عنا الرؤية. قدرتنا على التفكير في العالم كسوق واحدة، ونظام بيئي واحد، ومجموعة واحدة قبل العام١٩٨٩ ، كان يمكنك أن تتبنى سياسة شرقية أو سياسة غربية، لكن من الصعب أن تفكر في سياسة عالمية.."[١٨].

اذن هو هكذا الأمر تعتبر السياسات التي تسير العالم أحد أبرز العوامل التي تحكم وجهة التعددية الثقافية والدينية للعالم وعلاقة المواطن بالدولة بما يخدم بقاء الاشراقات النبوية والحضارة الإسلامية عامة في دائرة الهامش، لعل على رأس هذه الأدوات التي أشار لها توماس فريدمان في أطروحته هذه هي مختلف وسائل الإعلام فهذه البروباغندا لها الدور الفاعل في توجيه الرأي العام بما يحقق أغراضًا معينة تتوافق وطبيعة التوجهات التي تريدها أمريكا وقد ازدادت فعالية هذه الوسائل خاصّة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ هذا الحدث الذي انتقل من مجرد حدث إلى مفهوم صاغ السياسات التي بنيت عليها القرارات فيما بعد، فكان بمثابة حدث لبدايات قرن جديد، ليتخذ فيما بعد كذريعة للسطو على الهويات وتدميرها وإقصاء لقيم التعايش الرباني، ليكشف هذا الحدث عن مدى الحقد الدفين من طرف تلك الفلسفات تجاه الهوية والنموذج الثّقافي التّعايشي الإسلامي.

إن المركزية الغربية بتلك "الممارسات التي تركز على فرض الحضارة والمصالح الغربية عموما في جميع مجالات الحياة على حساب باقي الثقافات والحضارات والشعوب، وبكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة"[١٩]. وما زاد الطينة بلة، اللوبيات التي كانت ولازالت تتحكم في الوسائل الإعلامية العالمية الأمر الذي ساعد على انتشار ظاهرة تسطيح الثقافات وسرعة نشر الأخبار خاصّة تلك المتعلقة منها بالقرارات السياسية، ولعل هذا ما أشار إليه الكاتب عبد الخلق عبد الله في مجلة عالم الفكر عندما أكد على أن أي قرار يتخذ بالعاصمة الأمريكية سرعان ما ينتشر بكل عواصم العالم لتستحوذ تلك التشريعات على اهتمام كامل العالم باعتبارها قضية رأي عام عالمي، لتؤثر في ما بعد تلك السياسات تأثيرًا حاسمًا على السياسات الخارجية والداخلية لكل المجتمعات القريبة والبعيدة[٢٠]. فأمام هذا الخطاب لعل ذلك يحتم علينا ضرورة الولوج أكثر في البحث للكشف عن الخبايا النفسية التي تميز خطابات الغرس الثقافي عملاً على الوقوف على كيف تستغل القوى العالمية هذه النظرية لإبطال حق ومشروعية التّعايش الديني السلمي بالعالم رغم الشعارات الرنانة التي نسمعها من هنا وهناك عن حقوق الإنسان والدعوة إلى التّعايش وقبول الآخر.

قراءة تفكيكية لنظرية الغرس الثقافي:

نظرية "الغرس الثقافي" Cultivation–theory إحدى أهم المقولات التي عرفت رواجًا كبيرًا مطلع الستينيات من القرن الماضي وبتفكيكنا لهذه المقولة نجد أنها تجمع بين معنى الثقافة التى يعرفها تيلور بقوله: "كل معتقد من القيم والعادات والتقاليد والأخلاقيات، وأنماط السلوك"[٢١]. أما الغرس فيتمثل في ما يلي: "زرع وتنمية مكونات معرفية ونفسية تقوم بها مصادر المعلومات والخبرة لدى من يتعرض لها، وقد أصبح مصطلح الغرس منذ منتصف السبعينيات يرتبط بالنظرية التى تحاول تفسير الآثار الاجتماعية والمعرفية لوسائل الإعلام وبخاصة التليفزيون، والغرس حالة خاصة من عملية أوسع هى التنشئة الاجتماعية. وتعتبر عملية الغرس نوع من التعلم العرضى الناتج عن التعرض لوسائل الاتصال الجماهيرية وخاصة التليفزيون، حيث يتعرف الجمهور على حقائق الواقع الاجتماعى نتيجة التعرض لوسائل الاتصال، كما أن مداومة التعرض لوسائل الإعلام ولاسيما التليفزيون لفترات طويلة تنمي لدى المشاهد اعتقاداً بأن العالم الذي يراه على شاشة التليفزيون ما هو إلا صورة مماثلة للعالم الواقعي الذي يعيش فيه"[٢٢]. وبجمعنا للمفهومين يتبين لنا أنهما شديدا الترابط، فالإعلام يشكل عالم افتراضي وجو نفسي يوجه المنظومات الفكرية والاجتماعية كيفما

شاء بل وقد يصل الأمر حد إيهام الشعوب بأمر ما ليس له وجود بالأساس كنشر تلك الأخبار المتعلقة بامتلاك صدام حسين للأسلحة النووية عد أحداث ١١ سبتمبر لتتخذ مطية لضرب العراق وتدميره مهيئين العالم نفسيا لتقبل ذلك، فالإعلام أصبح يزرع المعتقدات ويشكل النماذج التي يحتفي بها الشّباب منهم بشكل خاص يتخذها قدوات لهم، وغالبا ما تكون تلك الأنماط الثقافية المبثوثة هدامة ومخالفة للهوية الإسلامية الصحيحة مشبعة بمعاني العنف والغلو والتطرف فيفشى ذلك في المجتمع تدريجيا حتى تختفي شيم التعايش وتفقد تلك البوصلة الربانية والإشراقات النبوية حول معالم تشكل حقوق الإنسان الصحيحة المزيفة التي أوهمونا بها.

وبتعمقنا أكثر في كبرى قنوات الشبكات الإعلامية نجد أنها تعمل على تشكيل واقع معين للمتلقي يبث خطابات الكراهية والعدائية تجاه الآخر وليس أدل على ذلك مما عملت عليه أكبر شبكات الإعلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ من خلال تصوير الرئيس صدام حسين بأنه إرهابي ويمتلك أسلحة دمار شامل، لتكون هذه الأطروحة أصدق تعبير عن حالة التشرذم الوجودي الذي يكتنف المنظومة الفكرية للحضارة الغربية الفاقدة للهدي النبوي وهو ما يحفزنا أكثر لمعرفة ملابسات هذه الأطروحة المتغلغلة في بنية العقل الغربي وتعبر عن مدى التمويه الفكري المستعمل من قبل القوى الغربية لإيجاد المبررات الواهية التي تتخذ كمطية لإقناع العالم بأفكار معينة منها نظرية نهاية الأيديولوجيات.

شيفرة نهاية الأيديولوجيات ووهم حق العيش المشترك:

"نهاية الايدولوجيا" إحدى أهم المقولات التي عرفت رواجًا كبيرًا مطلع الخمسينيات من القرن الماضي "عندما وضع هـ. ستيوارت هيوز مصطلح «نهاية الأيديولوجيا السياسية» استنادا إلى مظاهر تراجع الشيوعية في الاتحاد السوفييتي بنهاية عهد ستالين، وهي الفكرة التي راجت بعد سنوات قلائل لدى علماء اجتماع، وكتاب أميركيين مثل شيلز وبيل وليبست وشيلزنجر وواكسمان ووالت روستو. ففي مؤتمر ضخم عقد في ميلانو بإيطاليا عام ١٩٥٥ حول (مستقبل الحرية) تم الإعلان عن اختفاء أسباب الصراع الأيديولوجي في العالم وإعلان نهاية عصر الأيديولوجيا، قاصدين (الشيوعية) بالطبع"[٢٣]. وبتفكيكنا لهذه المقولة نجد أن هيوز نسي أو تناسى أن الأيديولوجيا يستحيل التّخلي عنها كونها نسق ومنظومة فكرية تعبر عن هوية الجماعات المختلفة والمتنوعة، فمن قال مثلا أن الايديولوجيا الشيوعية قد سقطت بسقوط جدار برلين Berliner Mauer سنة ١٩٨٩ كما تم إيهامنا، فقد تحولت في

أشكال ومظاهر فكرية جديدة تعبر عن نسق الفكر الأيديولوجي للشيوعية ونظرتها لحقوق الإنسان.

تعتبر أطروحة سقوط الايديولوجيات أصدق تعبير عن حالة التشرذم الوجودي الذي يكتنف المنظومة الفكرية للحضارة الغربية، وإحدى أبرز الصُروح الفكرية التي تتبناها الدوائر السياسية الغربية لزعزعة أمن واستقرار الهويات المتنوعة بالدول العربية، فالأيديولوجيا كما يقول عنها عبد الاله بلقزيز: "إنها تعطي الإنسان قدرة على تأويل العلاقات الاجتماعية وتنظم وعيه بحوادثها، بل وتنظمها بمقتضى منطق أو قاعدة أو مبدأ أو قيمة يتواضع عليها الناس، ويحصل الإجماع بينهم على اعتمادها، وهنا لا تقل الوظيفة الاجتماعية للإيديولوجيا عن الوظيفة المعرفية للعلم"(٢٤).

فنهاية الأيديولوجيا كما نرى هي دعوة للأيديولوجيا بحد ذاتها، بل هي أكبر من ذلك بكثير حيث تعمل على إدخال الأيديولوجيات المختلفة التي كانت في حالة من التناغم والتفاعل الحضاري البناء في صراعات قصد الإبقاء على الفوضى بطريقة خلاقة ومنظمة مدارة من أطراف تتقن جيدًا فن إدارة الفوضى، فهذه المقولة تحاول نسف الايديولوجيات المختلفة وتفكيكها وظيفيًا والعبث بمصائر الشعوب والدول، من خلال اللعب على وتر نسف الفكر المتواضع عليه من طرف تلك المجتمعات، وبالتالي تحدثُ خلخلة عميقة لذلك البناء الاجتماعي Social Structure واضعة إيديولوجيا معينة باعتبارها النموذج الذي يجب الاحتذاء به بإيعاز من أطراف تعمل في الخفاء من وراء تلك الشبكات الإعلامية وتجار المخدرات فضلا عن تجار الأسلحة، وهو ما يجعل الدُول العربية باعتبارها قليلة الفاعلية في سياق التواصل الحضاري للعالم تواجه تحديات كبيرة لحفظ إيديولوجيتها أمام غطرسة مد العولمة السياسية المهيمنة على العالم من خلال كبرى الشبكات الإعلامية بشكل خاص التي تتحكم فيها قوى عالمية أغلبها صهيونية، وهو حال ما نراه الآن على مسرح واقع الخطاب السياسي لدول الربيع العربي الذي يتلاعب به بعض المنتسبين للإعلام وهم لا صلة لهم بأبسط أخلاقيات مهنة الإعلام.

وأمام هذه النّزعة الإرهابية المبطنة بدواعي شيفرة الايديولوجيا الديمقراطية على الطريقة الغربية وغيرها من الأقنعة المصطنعة التي أوهمونا بضرورة تطبيقها في أنظمتنا السياسية، أدى ذلك إلى ظهور أصوليات شديدة التطرف كرد فعل على تلك السياسات المتبعة من طرف الدول الغربية خاصّة الولايات المتحدة الأمريكية في علاقتها مع دول العالم الإسلامي "فهي من أي موقع تعبر عن ايديولوجيا، إنها بعبارة

أدق تحاول تكريس نفسها ومنظومتها، من خلال نزع الشرعية عن أية ايديولوجيا واكسابها لنفسها بعد الإيهام بتحرر منظومتها من الأيديولوجيا"[٢٥].

فالاستشراق في نسخته الجديدة المعولمة للأيديولوجيات والناسفة للهويات الوطنية من خلال هذه الأطروحة الاستعمارية أدخل العالم في مأزق حضاري مدمرًا للهويات ومقصيًا للتنوع الايديولوجي وتنسق قيم التعايش التي تحفظ كيان الدول، وهو ما يجعلنا نتساءل مع عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران حينما تساءل قائلا: "كيف نتخلص من الخيار الصعب بين عولمة كونية خادعة تغفل تنوع الثقافات، والواقع المنغلق للجماعات المتقوقعة على ذاتها"[٢٦]. فمحاولة نشر ايديولوجيا واحدة بقوة السلاح وزرع الأفكار الطائفية الخبيثة والمدمرة وعدم إعطاء مساحة كافية لباقي الهويات الايديولوجية والثقافات والأديان، أدى ما أدى إليه من خراب في العراق وسوريَا وغيرها من الدول العربية التي أصبحت تتجسد فيها قيم الوحشية والجنون الحضاري إن جاز التعبير المرتبط بسياسات الدول الغربية وسعيها الحثيث لتطبيق هذه الشيفرة الاستشراقية في نسيج بنيتنا السياسية والاجتماعية والدينية.

هي أسئلة كثيرة مزروعة في هذه النظرية المعششة في نسيج بنية الخطابات السياسية خاصّة في دول الربيع العربي التي تشهد فيها هذه الشيفرة رواجًا كبيرًا لميكانيزمات تشكلها وزرعها على أرض الواقع بداعي حفظ حقوق الانسان، وذلك سعيا منهم إلى التخريب والتدمير العبثي الاستراتيجي والخلاق، وهو ما يحفزنا أكثر لمعرفة تلك التواشجات العميقة في علاقتها بخطاب الاستشراق أو ما يسمى بالإمبريالية الثقافية المروج لها بأدوات العولمة المختلفة.

العولمة وأدوات الامبريالية الثقافية:

تعتبر العولمة إحدى أهم الأدوات التي تستغلها الدوائر السياسية الغربية لفرض سيطرتها الثّقافية على الأمم والشعوب المستضعفة، خاصّة منها الإسلامية التي تعتبر هاجس الدول الغربية باعتبارها المنافس الأول لهم، وهو ما جعلهم يحرصون كل الحرص على بقائها خارج التغطية إن جاز التعبير الثّقافية والفعالية الحضارية بالعالم من خلال العطاء الثقافي والفكري للأمم كما كانت عليه سابقا حضارتنا الإسلامية أثناء العهد الاندلسي الذي عبرت عنه زيغريد هونكه في كتابها محل الدراسة –شمس العرب تسطع على الغرب– فقد كان العرب منارات علم يتلقفون العلم من عند كل الاقوام على اختلاف نحلهم وتعدد مشاربهم وهو ما ذكرته زيغريد هونكه بقولها: "ففي كل حقل من حقول الحياة صار الشعار للجميع "تعلم وزد معارفك قدر إمكانك وأينما

استطعت". وبأقدام ثابتة ونفوس هادئة مطمئنة، تعرف حقها وتؤدي واجبها، أقبل العرب على ما وجدوا من معارف فاغترفوا منها قدر جهدهم، وما رأوا فيه نفعا لهم"[٢٧]. وهذا يبدو أنه لم يعد يروق للقوى العالمية أن تراه في عصرنا هذا.

ولعل أحد أبرز هذه الطرق ضرب وتفكيك الدين بعزله عن الحياة فقد نجحت القوى العالمية من خلال العولمة في : "تمويت الإيمان في ضمائر الإنسان، بحيث ينفصل السلوك عن العقيدة، فينحرف هذا وتنكمش تلك، ويصبح المجتمع مسرحا للمباذل المستقرة والأهواء المطاعة والتيارات الطائشة، ثم يتحول ما بقي من دين إلى أشكال فارغة، وبدع حقيرة لا تغني عن أصحابها شيئا"[٢٨]. وهو ما أنتج غياب الروح وفقدان الذّات الإنسانية لقيم قبول الآخر.

كما لا يخفى على الجميع الدور الكبير لوسائل الإعلام في الفتك بالهويات وبث ثقافات معينة مخالفة حتى للفطرة البشرية السوية، وهو ما استغلته الدوائر السياسية هناك بالتحالف مع الوكالات العالمية للإنتاج السنيمائي الخاصة بالأفلام الجنسية أو أفلام الكرتون الخاصة بالأطفال الحاثة على العنف والمشبعة بقيم الرذيلة تفتك بأطفالنا يوميا، فكما نرى ذلك بوضوح شديد بأن "التحكم الإعلامي بالجماهير، التي نزلت إلى مستوى الأطفال من خلال سحر البث التلفزيوني والاتصالات –من الهاتف النقال إلى الانترنت– يسمح بتخدير الضمائر حتى لتنسى الهوة الفاغرة والموت التي يأخذها إليهما الفكر الوحيد– أي غياب كل تأمل حول الغايات الأخيرة للتاريخ الإنساني ومعنى ذلك التاريخ"[٢٩] وهو ما تشجعه الدوائر السياسية الغربية وتدعمه الأفكار الاستعمارية المبثوثة في مختلف وسائل الإعلام.

أمام كل هذا العبث وجيع هذه الأسئلة أعتقد أن لوم الآخرين واللّعب على وتر شماعة المؤامرة العالمية لن يجدي نفعًا، لأنه وببساطة مفاتيح فك شفرة استلاب هويتنا الثقافية القائمة على التنوع وسبل إعادة ثقافة التعايش الديني والثقافي موجودة بأيدينا ما إن تمكنا من معرفة ذواتنا المعرفة الحقيقية واسترشدنا في ذلك بإشراقات الهدي النبوي، فجماليات القيم الإنسانية لأمتنا العربية الإسلامية الموجودة بالقرآن الكريم هي السبيل الوحيد لنهضتنا والتصدي لتيار العولمة الفكرية حول حقوق الإنسان المزيفة التي اكتسحت العالم برمته، وهذا ما أكده المستشرق والمؤرخ وعالم الاجتماع الفرنسي جاك بيرك" Jacques Berque "عندما تمنى للعرب والمسلمين أن يبدعوا خصوصيتهم من داخل تراثهم دون أن يتنكروا لعصرهم، وكذلك أن لا يذوبوا في الحضارة الغربية فتطمس هويتهم فهذا هو الطريق الوحيد الذي يستطيعون من خلاله

أن يشاركوا في بناء الحضارة الإنسانية من جديد"[٣٠].

هذا الوعي الحضاري سيفضي بنا دون شك إلى إحياء فعاليتنا الحضارية بعد سبات عميق وعودة لأحضان لإبداع الحضاري من جديد، لننفلت من تبعات المركزية الغربية الجاثمة على صدورنا، من خلال انشاء مركزية شرقية، تعنى بدراسة كل ما يمت للغرب من بناء حضاري ونسق ثقافي، وهو ما يحتم علينا انشاء مراكز تعنى بعلم الاستغراب Aliénation يقوم عليها كبار مفكرينا الشرفاء منهم والغيورين على الأوضاع التي آلت إليها أمتنا خاصة في ظاهرة انتشار الخطابات التكفيرية التي لا صلة لها بالإسلام، مثلما كانت ولا زالت لهم –الغرب– مراكز علم الاستشراق في دراستنا ومعرفة طبيعة عقليتنا، حتى نتمكن بهذا الحراك الثقافي الذي تقوده العناصر النخبوية المعتدلة بأوطاننا العربية من التصدي لهذا النوع من الاستعمار الجديد الذي بات محل دراسة في الدراسات ما بعد الكولونيالية، إلا أنه يحتاج إلى مزيد من التفعيل ليبرز الرجل الإسلامي العابر للثّقافات الذي على عاتقه حماية حقوق الإنسان وفق الهدي النبوي القويم.

خـــاتمة:

من خلال ما طرحناه في ورقتنا البحثية هذه من إشكاليات وتساؤلات، وسعيًا منا لإيجاد ولو بعض الحلول المناسبة للوقوف في وجه هذا الاستعمار الفكري الجديد الجارف للهويات الدينية والثقافات المتنوعة والسالب لحق المواطنة بوطننا العربي تحت غطاء فزاعة حقوق الانسان، نطرح في خاتمة مقاربتنا هذه بعض الأفكار

والتوصيات التي نرجو أن تسهم في ترميم التصدعات الجاثمة على الخارطة تعايش التنوع الطائفي والديني والثقافي بوطننا العربي، لتحقيق سبل انعتاقنا من مد الخطابات المحرضة على العنف والإرهاب والتكفير وويلاته، وإرساءً لدعائم سبل غرس الهدي النبوي بالخطاب الاعلامي للدول العربية بعيدًا عن خطاب الغرس الثّقافي للفلسفة الاستعمارية الجديدة حول حقوق الإنسان الوافدة إلينا من الخارج:

١- ارساء قواعد التعايش السلمي وتعلم سُبل التّعايش بين الثقافات والأديان المختلفة وغرس قيم المواطنة لن يكون برفع الشعارات الزائفة، وإنما يتحقق ذلك بتضافر جهود جميع الأطراف باستخدام لغة العصر وأدواته، وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني المختلفة، ونشر ما تحث عليه مختلف الأديان من قيم التسامح والتعايش بين المذاهب والأديان، خاصّة في المناهج التعليمية تعليمًا وتربية لهم على اتقان فن حقوق الإنسان وحق المواطنة في كنف التعايش والتعددية، تحت اشراف مختصّين في المجال وليس مجرد درس يتم إلقاؤه وفقط لتنتهي المهمة عند ذلك، فالأمر أكثر من ذلك بكثير.

٢- من الضّروري بعث سبل تجديد الثّقافة العربية خاصّة الخطاب الديني، وتفعيل دوره في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية بجميع طوائفها بعيدًا عن جدل التعصب للعرق أو المذهب...الخ، وقوفًا في وجه الخطابات الفلسفية الجديدة المغلفة بالقيم ذات الطابع الاستعماري الجديد، وهذا كله تأسيسًا لنوع جديد من الاستشراف المستقبلي لأمة جديدة ولدت من رحم الانبعاث الحضاري الإسلامي القويم، بعيدًا عن الصراع الديني المدعم من أطراف خارجية تكن الحقد والكره لكل ما يمت للإسلام بصلة.

٣- لقد أنتجت فلسفة ما بعد الحداثة انسانًا غربيًا ثاناتوسيا، مخربًا للعالم ناسفًا للقيم حقوق الإنسان وشتى أنواع التعايش السلمي القائم على مبدأ قبول الثقافات والأديان ضاربًا بكل ذلك عرض الحائط، ومرسيًا بدل ذلك مفاهيم جديدة من قبل :الهدم، التشظي، المركزية الغربية، الإسلاموفوبيا...إلخ، سعيا إلى نشر هذه المفاهيم وترسيخها في الأذهان، تحت غطاء وأقنعة مختلفة تختزل معادلة صراع الأديان بمختلف أبعادها.

٤- تعتبر أحداث ٢٠٠١-٠٩-١١ بمثابة النبوءة التي أكدت نظرية صراع الحضارات الهنغتونية والتي اتخذت منها الولايات المتحدة الأمريكية مطية لشحذ الهمم وتفعيل الحراك العالمي ضد الهوية الثقافية الإسلامية، وهو ما جعلها تقرع طبول الحرب معلنة المعركة ضد محور الشر كما قال جورج بوش آنذاك، لتعلن بعدها

عودة ما سمي بالحروب الصليبية من جديد ونتائج ذلك ماثلة أمامنا في كثير من الدول لعل على رأسها العراق وسوريا حاليًا من انفراط كبير لمد الصراعات الأيديولوجية المفتتة لكيان الدول والناشرة للفتن الطائفية، التي أصبحت تفتك يومًا بعد يوم بقيم التعددية الثقافية للأمة العربية والإسلامية.

٥- فرق كبير بين نظرة الفلسفة الغربية الوضعية في نظرتها لقضية حقوق الإنسان ووجهة نظر الهدي النبوي في التأسيس لهذا الحق المشروع، فالقوى الغربية انطلقت من اكراهات حتمتها عليها الشعوب ما اضطرها لوضع ميثاق عالمي لحقوق الانسان، فضلا عن السياسات الاستعمارية في الاتخاذ من هذه الفلسفة مطية للسيطرة على الشعوب، اما الهدي النبوي فقد كان امرا تلقائيا تلبية لنداء الفطرة في حق المواطنة والقبول فضلا عن تنفيد أمر رباني صالح للتطبيق في كل زمان ومكان على اختلاف الثقافات والأديان.

٦- العنصرية والتفرقة بين الأديان والشعوب والأعراق والثقافات وسلب حق المواطنة في الدول الغربية نابع من فلسفة عنصرية متأصلة في الفكر الغربي بداية بأفلاطون وصولا لفوكوياما وهنغتون وغيرهم الكثير ترى أن الإنسان الغربي أسمى وأعرق ثقافة وأرفع دينا وهو ما جعل العديد من الفلاسفة الغربيين المنصفين أمثال جون جاك روسو وايريك فروم وروجيه غارودي ونعوم تشومسكي... يوجهون نقدهم اللاذع لما وصلت له الحضارة الغربية من عنصرية تجاه الدين الإسلامي فهذا الأخير -نعوم تشومسكي- يعتبر أبرز المفكرين الذين يقفون في وجه السياسات الغربية التي تتخذ من فزاعة حقوق الإنسان وحفظ حقوق الأقليات لتقسيم الشرق الأوسط وتفتيته.

٧- لابد من تضافر جهود جميع الدول العربية الإسلامية سواء على مستوى الحكومات أو على مستوى الشعوب، وتُحدث فيما بينها تعاون وتنسيقات عالية المستوى، وتكثيف الجهود أكثر على مستوى النخب الثّقافية بما أنها فئة تنويرية بإقامة مؤتمرات وندوات للتباحث في سبل بعث الهدي النبوي في نظرته لحقوق الإنسان واحقاق فكرة التعددية الدينية والثقافية وحق المواطنة، إلى جانب العمل على دعم منظمات المجتمع المدني والعمل على تغلغلها داخل النسيج الاجتماعي للمجتمعات العربية حتى تنتشر التوعية أكثر بمخاطر الفتن الطائفية وأثر ذلك على الهوية الإسلامية ومدى تماسك المجتمع تجنبا للانزلاقات الوطنية نحو العنف والدموية.

٨- انتشار دواعي حوار الأديان وتمازج الثّقافات وتلاقح الحضارات والمعرفة الكونية...إلخ، كلها تقريبًا صنعت لأغراض سياسية بحتة ساعية إلى إحكام السيطرة

على العالم، ونشرًا للنموذج الثّقافي الأمريكي، بدعوى أنها هي الأجدر بقيادة العالم كما أعلن ذلك صمويل هنغتون على اعتبار أنها ثقافة مركز القوة في العالم، فهي مجرد شعارات رنانة زائفة مزركشة بصورة بهية من الخارج، في حين هي انتهازية استعمارية من الداخل.

هوامش البحث:

[١]- محمد عمارة: ابن رشد بين الغرب والإسلام، الإشراف العام داليا محمد ابراهيم، دار نهضة مصر، ٢٠٠٤، ص ٥.

[٢]- محمد عمارة:
http://klmty.net/٤٧٢٧٦٦-%D٨%AF-%D٩%٨٥%D٨%AD%D٩%٨٥%D٨%AF-%D٨%B٩%D٩%٨٥%D٨%A٧%D٨%B١%D٨%A٩-%D٩%٨A%D٩%٨٣%D٨%AA%D٨%A٨---%D٩%٨٥%D٩%٨٦-%D٩%٨٥%D٨%B٨%D٨%A٧%D٩%٨٧%D٨%B١-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%AE%D٩%٨٤%D٩%٨٤-%D٩%٨١%D٩%٨A-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%AD%D٨%B١%D٩%٨٣%D٨%A٧%D٨%AA-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%A٥%D٨%B٣%D٩%٨٤%D٨%A٧%D٩%٨٥%D٩%٨A%D٨%A٩-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٥%D٨%B٩%D٨%A٧%D٨%B٥%D٨%B١%D٨%A٩.html

[٣]- محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية الدكتور، دار نهضة مصر للطباعة، ط١، ١٩٩٩، ص٤٤.

[٤]- يوسف عينان : الفلسفة الرشدية وأثرها في أوروبا.

http://elriwak.blogspot.com/٢٠١٣/١١/blog-post-٥٠٩٦.html

[٥]- مالك بن نبي: القضايا الكبرى، الجزائر، دار الفكر، ١٩٨٧، ص٨٤ .

[٦]- محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الإمام البخاري، ط١، القاهرة ، ٢٠٠٩، ص٢٠.

[٧]- سفن م . سبينجيمان: ثمن الحرية الخفي: تأطير عراقيل التعايش الاقتصادي، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معا، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي، ط١ ، عمان، الأردن، الاهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص٢٩.

[٨]-علي بولاج: وثيقة المدينة المنورة: وثيقة السلام في مجتمع متعدد الثقافات والأديان، مقال منشور على موقع: www.rabitat-alwaha.net

[٩]- عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، المجلد الثاني، بيروت، الكتاب العالمي للنشر، ٢٠٠٨. ص ٩٩.

[١١]- سورة النحل: الآية ٩٧.

[١٢]- باتريك سافيدان: الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة: المصطفى حسوني، دار توبقال للنشر، ط١، ٢٠١١ .ص ٣٩.

[١٣]-Goytisolo (Juan),"Que peut la litterature ?", Le Monde Diplomatique, Novembre ١٩٩٩, p.٢٨.

[١٤]- محمد عمارة :

http://klmty.net/٤٧٢٧٦٦-%D٨%AF-%D٩%٨٥%D٨%AD%D٩%٨٥%D٨%AF-%D٨%B٩%D٩%٨٥%D٨%A٧%D٨%B١%D٨%A٩-%D٩%٨A%D٩%٨٣%D٨%AA%D٨%AA---%D٩%٨٥%D٩%٨٦-%D٩%٨٥%D٨%B٨%D٨%A٧%D٩%٨٧%D٨%B١-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%AE%D٩%٨٤%D٩%٨٤-%D٩%٨١%D٩%٨A-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%AD%D٨%B١%D٩%٨٣%D٨%A٧%D٨%AA-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%A٥%D٨%B٣%D٩%٨٤%D٨%A٧%D٩%٨٥%D٩%٨A%D٨%A٩-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٥%D٨%B٩%D٨%A٧%D٨%B٥%D٨%B١%D٨%A٩.html

[١٥]- سورة الحجرات: الآية ١٣.

[١٦]- محمد اسماعيل المقدم: الهوية أو الهاوية، الدعوة السلفية بالإسكندرية. ص ٤٣.

[١٧]- ابراهيم غرايبة: العالم مسطح

http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/٢٠٠٦/٤/١١/%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%B٩%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٥-%D٩%٨٥%D٨%B٣%D٨%B٧%D٨%AD

[١٨]- توماس فريدمان :العالم مستو موجز تاريخ القرن الحادي والعشرين، تر: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٥. ص ٦٠.

[١٩]- عبد اللطيف عبد الله الغامدي: المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان، رسالة ماجستير، ص ٢١.

[٢٠]- عبد الخالق عبد الله :العولمة : جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عالم الفكر، عدد٢٧، سنة ١٩٩٩ ، ص٨١.

[٢١] – http://constantine٣.blogspot.com/٢٠١٣/١٢/cultivation-theory-١٠.html

[٢٢] – الموقع نفسه.

[٢٣] - صلاح سالم: نهاية الأيديولوجيا أم تحورها :
http://www.albayan.ae/opinions/articles/٢٠١٥-٠٩-١٥-١.٢٤٥٩٤٥٣

[٢٤]- عبد الاله بلقزيز: في البدء كانت الثقافة، نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٨. ص٣٩ .

[٢٥]- عبد الاله بلقزيز: في البدء كانت الثقافة، نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٨. ص ١٣٣.

[٢٦]-Touraine (Alain),Pourrons nous vivre ensemble?, Fayard, Paris,١٩٩٧, p.٢.

[٢٧] – زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٨، ١٩٩٣.ص٣٧٣.

[٢٨] – محمد الغزالي: قذائف الحق، دار القلم، دمشق ط٣، ١٤٢٣هـ، ص ٢٩٢.

[٢٩] – روجيه غارودي: الإرهاب الغربي، تعريب داليا الطوني وناهد عبد الحميد وسامي مندور، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٤، ص ٤٤.

[٣٠] – ابتسام أسناوي : رؤية مستقبلية للانا والآخر من خلال فكر أدباء ورواد معاصرين ، مقارنات : مستقبل الأدب المقارن في ظل العولمة ، العدد الأول ، القاهرة ، ٢٠٠٢ . ص ١٤٧ .

قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

١- محمد عمارة: ابن رشد بين الغرب والإسلام، الإشراف العام داليا محمد ابراهيم، دار نهضة مصر، ٢٠٠٤.

٢- محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية الدكتور، دار نهضة مصر للطباعة، ط١، ١٩٩٩.

٣-محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الإمام البخاري، ط١، القاهرة ، ٢٠٠٩.

٤- مالك بن نبي: القضايا الكبرى، الجزائر، دار الفكر، ١٩٨٧.

٥- عبد الاله بلقزيز: في البدء كانت الثقافة، نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٨.

٦- عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، المجلد الثاني، بيروت، الكتاب العالمي للنشر، ٢٠٠٨.

[٧] – محمد اسماعيل المقدم: الهوية أو الهاوية، الدعوة السلفية بالإسكندرية.

٨- محمد الغزالي: قذائف الحق، دار القلم، دمشق ط٣، ١٤٢٣هـ.

٩- باتريك سافيدان: الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة: المصطفى حسوني، دار توبقال للنشر، ١ ط،٢٠١١.

١٠- توماس فريدمان :العالم مستو موجز تاريخ القرن الحادي والعشرين، تر: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٥.

١١- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٨، ١٩٩٣.
١٢- روجيه غارودي: الإرهاب الغربي، تعريب داليا الطوني وناهد عبد الحميد وسامي مندور، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٤.
[١٣]- Goytisolo (Juan),"Que peut la litterature ?", Le Monde Diplomatique, Novembre ١٩٩٩.
١٤-Touraine (Alain), Pourrons nous vivre ensemble ?, Fayard, Paris, ١٩٩٧.
[١٥]- ابتسام أسناوي : رؤية مستقبلية للانا والآخر من خلال فكر أدباء ورواد معاصرين ، مقارنات : مستقبل الأدب المقارن في ظل العولمة ، العدد الأول ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
١٦- عبد الخالق عبد الله :العولمة : جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عالم الفكر، عدد٢٧، سنة ١٩٩٩ .
[١٧] - سفن م . سبينجيمان: ثمن الحرية الخفي: تأطير عراقيل التعايش الاقتصادي، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معا، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي، ط١ ، عمان، الأردن، الاهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
١٨- عبد اللطيف عبد الله الغامدي: المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان، رسالة ماجستير.
١٩- محمد عمارة:
http://klmty.net/٤٧٢٧٦٦-%D٨%AF-D٩%٨٥%D٨%AD%D٩%٨٥%D٨%AF-%D٨%B٩%D٩%٨٥%D٨%A٧%D٨%B١%D٨%A٩-%D٩%٨A%D٩%٨٣%D٨%AA%D٨%A٨-%D٩%٨٥%D٩%٨٦-%D٩%٨٥%D٨%B٨%D٨%A٧%D٩%٨٧%D٨%B١-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%AE%D٩%٨٤%D٩%٨٤-%D٩%٨١%D٩%٨A-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%AD%D٨%B١%D٩%٨٣%D٨%A٧%D٨%AA-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%A٥%D٨%B٣%D٩%٨٤%D٨%A٧%D٩%٨٥%D٩%٨A%D٨%A٩-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٥%D٨%B٩%D٨%A٧%D٨%B٥%D٨%B١%D٨%A٩.html
[٢٠]- يوسف عينان : الفلسفة الرشدية وأثرها في أوروبا.
http://elriwak.blogspot.com/٢٠١٣/١١/blog-post-٥٠٩٦.html
[٢١]- علي بولاج: وثيقة المدينة المنورة: وثيقة السلام في مجتمع متعدد الثقافات والأديان، مقال منشور على موقع: www.rabitat-alwaha.net
٢٢- ابراهيم غرايبة : العالم مسطح:
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/٢٠٠٦/٤/١١/%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%B٩%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٥-%D٩%٨٥%D٨%B٣%D٨%B٧%D٨%AD
٢٣ -http://constantine٣.blogspot.com/٢٠١٣/١٢/cultivation-theory-١٠.html
٢٤- صلاح سالم: نهاية الأيديولوجيا أم تحورها:
http://www.albayan.ae/opinions/articles/٢٠١٥-٠٩-١٥-١.٢٤٥٩٤٥٣